أولا- البطريركية- الهمينة داخل المجتمعات البشرية:

كرّست المجتمعات البشرية عبر حقبها وأجيالها المتواترة، لهيمنة ذكورية على كافة الأصعدة الحياتية ، ليغدو الرجل هو المركز والمحور الذي ينبني عليه المجتمع ، بدءا من العائلة ووصولا إلى المجالات الأخرى ، وفي المقابل تكون المرأة كائنا تابعاًوخاضعًا لهذا الرجل الذي تفتن في أساليب قمعها من خلال سيطرته وتقييده لها، ملغيا بذلك دورها في بناء المجتمع، ولا عجب في ذلك فالبنية البطريركية التي تقوم عليها هاته المجتمعات تفرض ذلك ، سيما وأن جوهرها مبني على السلطة التي تعد بمثابة الأكسجين الذي تتنفسه لكي تحيا وتستمر، وهو ما يستدعي منا قبل كل شيء أن نعرج على مصطلح البطريركية ثم الإلمام بمختلف حيثياته وجوانبه.

1- إشكالية المصطلح والمفهوم:

أ- التحديد اللغوي لمصطلح البطريركية (Patriarchy):

يُعدُّ مصطلح البطريركية من أكثر المصطلحات غموضا من جهة المعنى والدلالة، وقد ورد معناه اللغوي في معجم الرائد بأنّه:

« بَطْرَكٌ:ر. بَطْرِيَرْكٌ.

بَطْرِيَرْكٌ: ج بطاركة وبطاريك وبطارك.

1- رئيس رؤوساء الأساقفة عند النصارى.

2- عالم عند اليهود.

واصطلاح عليه العرب لفظة بطريق »[1].

ونجد بأن هذا التعريف تتفق عليه أغلب المعاجم اللغوية الأخرى.

ب-التحديد الاصطلاحي:

تعددت مفاهيم النقاد والدارسين حول ماهيّة المصطلح، نظرا لاتساع مجالاته ؛ حيث نجد مفردة **البطريركية** تحيل على« مفردتين يونانيتين تعنيان مجتمعين **"حكم الأب"** »[2] ،وهو أهم ما يتميز به النظام البطريركي إذ إنّ الأب هو مركز السلطة والحكم، وقد تم تناول هذا المصطلح من قبل« حقلين مختلفين

1- جبران مسعود: الرائد معجم ألفبائي في اللغة والاعلام، ط3، دار العلم للملايين ، تموز / يوليو/ 2005، ص: 203.

2-ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 2002، ص:62.

Scanné avec CamScanner

هما، الأنثروبولوجيا والدراسات النسوية، فقد بحث الأنثروبولوجيون في المجتمعات البدائية، ووجدوا أنه يشّع في أكثرها نظام حكم أبويّ يتمثل في سيطرة رجل كبير السن يكون بمثابة الأب لبقية أفراد القبيلة »[1]، هذا يوضح أنّ البطريركية متجذرة في المجتمعات فهي قديمة قدم الإنسان، كما أنّ هيكلتها تقوم على السيطرة هاته التي تكون بيد الرجل /البطريك.

بعودتنا إلى حقل الدراسات النسوية، نُلفي أنّ« المصطلح لعب دورا مركزيا في هذا الحقل، ومن خلال تتبع السيطرة الذكورية في المجتمعات الإنسانية بوصف تلك السيطرة مصدرا للكبت المفروض على الأنثى، رأوا أن الأبوية شائعة في كل المجتمعات بمعنى أن كلها أبوية النظام لا يسمح للمرأة فيها أن تتجاوز موقعها الثانوي أو الدوني» [2]، ذلك ما يفضي إلى القول بأن الأبوية هي نظام يعمل على إلغاء المرأة وتغييبها، وبتروجودها أو اعتبارها كائنا مهمشا، وخطى لها حدودا لا ينبغي لها أن تتعداها.

يشير مصطلح البطريركية عند الغرب حسب **'كريس ويدون'** (chris weedon) «إلى علاقات القوّة التي تخضع في إطارها مصالح المرأة لمصطلح الرجل وتتخذ هذه العلاقات صورا متعددة بدءا من تقسيم العمل على أساس الجنس والتنظيم الإجتماعي لعملية الإنجاب، وصولا إلى المعايير الداخلية للأنوثة، وتستند السلطة الأبوية إلى المعنى الاجتماعي الذي تم إضفاؤه على الفروق البيولوجيا بين الجنسين » [3].

بناءً على المفهوم الذي صاغته **'كريس ويدون'**، يتضح أن القضية تندرج في إطار المركز والهامش، ذلك أنّ الرجل هو الذي يمثل المركز الفاعل في المجتمع، من خلال تحديده للوظائف وسنّه لقوانين تجبر المرأة على الامتثال له تبعا لما يخدم برغمايته ونرجسيته ووفقا لهذا جعل منها جنسا آخر مهمش، وفرض عليه الحدود حتّى في أدق خصوصياته وجعل من العامل البيولوجي سببا في دونيته المرأة وفي المقابل سببا في الإعلاء من مكانة الرجل.

إنّ الثقافة الذكورية؛ هي نتيجة حتمية لتلك الترسبات التي تنتقل جيلا عن جيل، وتظهر من خلال سلوكيات الأفراد وممارستهم ، بدءا بالأب« الذي يمارس تسلطه وسيطرته على أفراد العائلة، وهو ما يلزم خضوع الأم والأبناء وطاعتهم له طاعة عمياء، وصولا إلى سيطرة الولد على البنت حتى لو كانت أكبر

1- ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص: 62.
2-المرجع نفسه، ص: 63.
3- سارة جامبل: النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي، ط1، المشروع القومي للترجمة، القاهرة-مصر، 2002، ص:22.

Scanné avec CamScanner

منه سنا »[1]، والهدف من وراء هذه السيطرة هو الحفاظ على النزعة البطريركية وجعلها تترسخ أكثر وتتجدر داخل المجتمع، وهو ما ذهب إليه "**هوركهايمر**" (Horkheimer) إلى أنّ الأبوية هي نظام وراثي يورّث كل أشكال القهر والتسلط إذ يرى أن البطريركية هي« نتيجة العلاقات المتبادلة بين العائلة والمجتمع لأن سلطة الأب مستمدة من سلطة المجتمع، وتستمر هذه السلطة بالانتقال من جيل إلى آخر عن طريق التنشئة الأبوية، وتصبح العائلة الخلية الثقافية الأولى التي تنقل وتجدد النزعة الأبوية » [2]،وهو بهذا يبرز الدور الكبير الذي تلعبه نظم التنشئة الاجتماعية كالتعليم مثلا، في تكريس التمييز بين البنت والولد وتنشئت الرؤية المتعالية للرجل.

تشير "**غيردا ليرنر**" (Gerda lerner) إلى أنّ النظام الأبوي اشتق تاريخيا من القانون اليوناني والروماني الذي كان فيه لرب الأسرة سلطة مطلقة وهو يعني حسبها:« تجلي مأسسة الهيمنة الذكورية على النساء والأطفال في الأسرة، وتوسع الهيمنة الذكورية على النساء في المجتمع بصفة عامة، وأن الرجال يتولون السلطة في جميع مؤسسات المجتمع، وأن النساء محرومات من سلطة كهذه » [3]،ما يجعل المرأة دائما هي الكائن الضعيف المقموع من قبل العائلة وكذا المجتمع، لذا لا يحق لها أن تنافس الرجل وتشاركه السلطة التي تكون حكرا على الرجل.

نُلفي تعريفا لمصطلح البطريرك في الدراسات العربية عند مجموعة من الدارسين؛ حيث يحضر في كتاب(النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب) لـــ "**إبراهيم الحيدري**" أنّ البطريركية أو النظام الأبوي، «هو بنية سيكولوجية واجتماعية وثقافية ناتجة عن شروط تاريخية وحضارية تتخذ طابعا مميزا بالنسبة إلى البنى الاجتماعية الكلية المجتمع والدولة والإقتصاد والثقافة، وكذلك إلى البنيتن الجزئيتين العائلة والشخصية الفردية » [4]، وهذا يفسر لنا أنّ النظام الأبوي هو حصيلة ظروف أسهمت في انبثاقه، إضافة إلى أنه يتخذ عدّة أشكال صغرى ممثلة في العائلة والفرد وعلى ممتوى الأشكال الكبرى ممثلة في المجتمع والسياسة...

1-إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ط1،دار الساقي ،بيروت-لبنان،2003،ص: 15.

2-المرجع نفسه:ص: 324 نقلا عن

Horkheine . Max Autoritat and Famille, imKritsheTherorieder Gesellschafs. Bd I ; i Did s 350.

3-غيردا ليرنر: نشأة النظام الأبوي، ترجمة أسامة إسبر، د ط، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، 2013، ص:150.

4- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ص:313 .

Scanné avec CamScanner

يضيف "**إبراهيم الحيدري**" تعريفا آخر « النزعة الأبوية البطريركية تظهر في سيطرة الأب على العائلة، فالأب البعل هو المحور الذي تنظم حوله العائلة وهو رب البيت وعموده ... إذ أنّ العلاقة بين الأب والأبناء وبين الحاكم والمحكوم علاقة هرمية » [1]، فدائما يكون الأب هو الأساس في تلك العلاقات القائمة على التسلط من جهة، وعلى الخضوع والطاعة من جهة أفراد الأسرة.

يرتبط النظام البطريركي ارتباطا وثيقا بالسلطة ؛ إذ تعدُّ هي الركيزة التي يتكىء عليها هذا النظام؛وهي تعني« القوة الرسمية المتوقعة والمشروعةأو هي ذلك الاستخدام المشروع للقوّة في مؤسسات المجتمع، وهي من الناحية الاجتماعية تعني: قوّة ممنوحة لمركز معين ويمارسها الشخص الموجود في هذا المركز » [2]، وهذا المفهوم يقربنا أكثر من فهم النظام البطركي، ويتضح ذلك من خلال هذا التطابق الموجود بينهما أي بين السلطة والأب فإذا ذكر أحدهما دلّ على الأخر.

يتقاطع كل من "**محمد الشقرون**" و" **هبة رؤوف عزت**" في« أنّ كلمة بطريركية **Patriarchate(نظام أبوي)**، أو البطركية**Patriaracalism** هو تعبير قانوني عن وضعية أو تنظيم اجتماعي تميز به المجتمع الروماني وبقيّ هذا التعبير القانوني أو التقنين مستمرا في التشريع الأوروبي بالملكية والإرث » [3] ، وبذلك يكونان قد ربطا البطركية بالجانب القانوني التشريعي ما يكشف عن وجه آخر من أوجه هذا النظام.

وتعطي " **هبة رؤوف عزت**" مفهوما أدق للأبوية ، فتقول إنّ:« رب الأسرة يملك السلطة المطلقة على كل من تحت ولايته من أفراد أسرته، وكانت هذه السلطة حكرا على الرجال فقط، وكان رب الأسرة هو مالك أموال الأسرة والمتصرف فيها »[4]، فالأب له حق سلطة التصرف في كل ما يخصه بما في ذلك الأولاد، والزوجة لأنه يأتي على رأس السلطة.

أمّا " **هشام شرابي**" فحدّد النظام الأبوي بأنّه يشمل كل هيمنة ذكورية داخل الأسرة أو المجتمع؛ فيقول هو: « هيمنة الأب (البطريك)، إذ أنه المركز الذي تنتظم حوله العائلة بنمطها المدني والطبيعي،وتبعا لذلك فإن العلاقات القائمة بين الحاكم والمحكوم وبين الأب والابن هي علاقات عمودية وفي كلتا الحالتين تقف إرادة الأب على أنها الإرادة المطلقة » [5] فالبنية البطريركية التي تقوم عليها

1- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ص: 310.
2- عدنان علي الشريم: الأب في الرواية العربية المعاصرة ، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد،-الأردن، 2008، ص:17.
3-المرجع نفسه، ص:18.
4-المرجع نفسه، ص:18.
5- هشام شرابي: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، ترجمة محمود شريح، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، 1993،ص:24.

Scanné avec CamScanner

الأسرة أو المجتمع هي بنية هرمية تحكمها علاقات عمودية تتمثل في إصدار الأوامر والخضوع، تبدأ من أعلى الهرم لتصل إلى أدناه، ويضيف بأنّ « حجر الزاوية في النظام الأبوي قائم على استبعاد المرأة »[1]، هاته التي لا وجود لها ولا وظيفة لها إلّا لتأكيد تفوق الرجل وتثبت هيمنته من خلال خضوعها له ما يكشف عن انعدام مبدأ المساواة في هذا النظام.

يستمد النظام الأبوي قوّته وركائزه من سلطة الأب المطلقة ، التي تلغي أيّ سلطة قد تهدد مكانته وفقا للطريقة التي تناسبها ف« الذهنية الأبوية أوّل ما تتمثل في نزعتها السلطوية الشاملة التي ترفض النقد ولا تقبل بالحوار إلاّ أسلوبا لفرض رأيها فرضا، حتّى وإن استلزم الأمر العنف والجبر، وكل هذا من أجل أن تعرف على حقيقتها التي لا توجد حقيقة غيرها »[2] ، وهذا ما يفسر شمولية هذا النظام واجتياحه لكل مؤسسات المجتمع، إذ يدخل في تركيبها من منطلق أنه الحقيقة الثابتة التي لا يمكن التجرد منها.

فالبطريكية بحكم هذا تكون قد أوجدت سمات خاصة بها والتّي يمكن أن نجمعها في السلطة والخضوع؛ -أي سلطة الأب وتجبره وطاعة الأم والأبناء له بحكم المركز الذي نصب فيه نفسه لذا وجب طاعته وتقديم الولاء له-، وكذا السيطرة والشمولية.

نتبين من كل ما تقدّم أنّ مصطلح البطريركية/الأبوية ، مصطلح فضفاض ومائع إذ لا يمكن حصره في مفهوم واحد، فهو يتحدّد من خلال المجال الذي يطرح فيه، حيث نجد له صدى في كل بنيات المجتمع العائلة والسياسة والاقتصاد والثقافة ...، إضافة إلى هذا فالنظام الأبوي يقوم على تحديد العلاقات وكيفية سيرها بين الأنا المتمثلة بالرجل والآخر المتمثل بالمرأة، وأنّ مجمل فحوى هذه النزعة يرتكز على الهيمنة والتسلط والسيطرة.

وعليه نتوصل إلى سير العلاقات داخل النظام البطركي في بنيته الصغرى(العائلة) من خلال هذا المخطط:

1- هشام شرابي: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، ص:16.
2- المرجع نفسه ،ص:16.

Scanné avec CamScanner

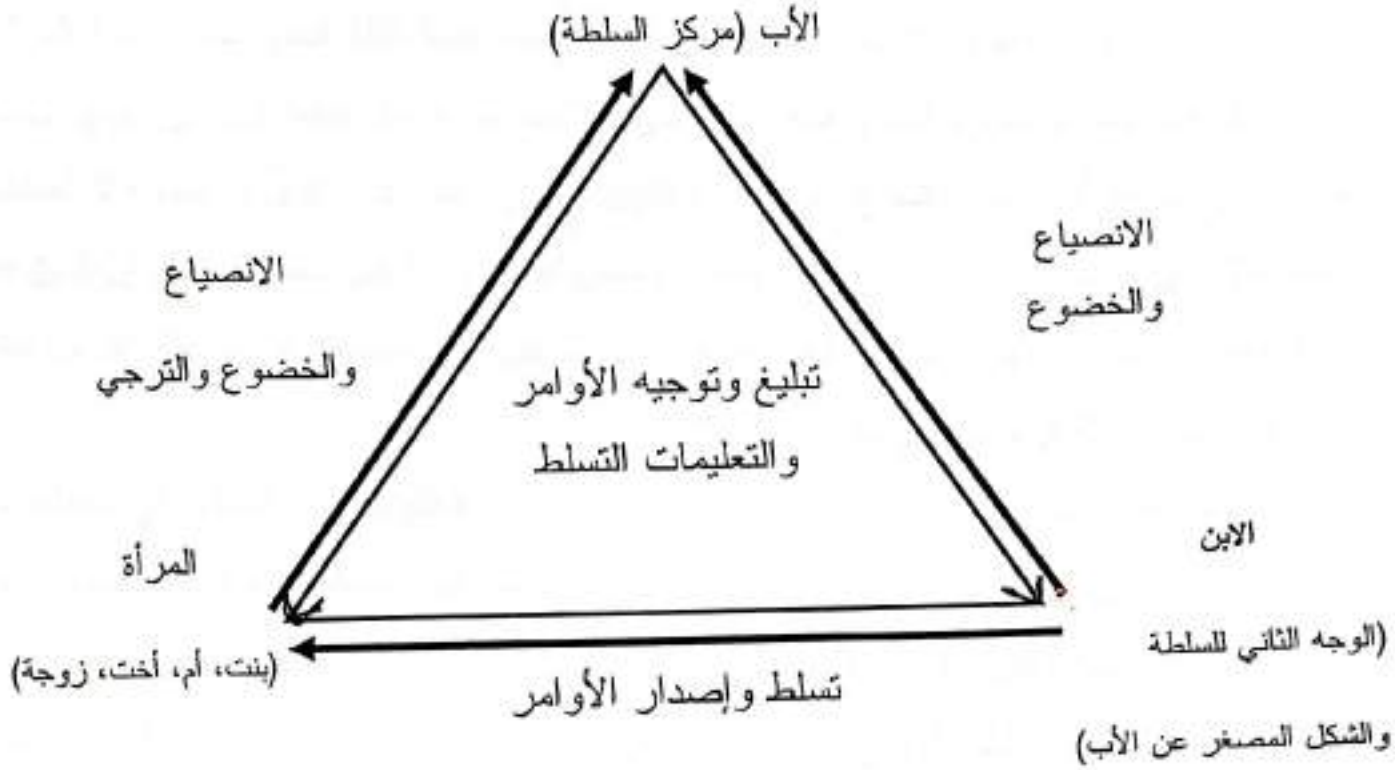

وهو ما يوضح بأنّ المرأة هي الكائن المقموع والخاضع لسلطة الرجل.

الأب ← تسلط ← المرأة ← تسلط ← الابن

(طاعة ورذوخ)

2- جذور البطريركية وخلفياتها عند الغرب:

إنّ النظام البطريركي /الأبوي ، هو« خلق تاريخي قام به الرجال والنساء في سيرورة استغرقت 2500 سنة لكي تكتمل »[1] ، ولقد تغلغلت هذه النزعة في أعماق الحضارة الغربية، فقد عملت مؤسسات النظام الاجتماعي سواء أكانت دينية أو تشريعية أو فلسفية أو تعليمية وحتى الأساطير على تعميق الهوّة بين الرجل والمرأة، وذلك من خلال إعلاء مكانة الرجل على حساب المرأة هاته التي كانت« لا تعرف إلّا بذكر نقيضها الرجل، من منطلق أنّ الأشياء لا تعرف إلّا بالأضداد »[2].

1-غيردا ليرنر: نشأة النظام الأبوي ص: 413.

2- عبد الله إبراهيم: السرد النسوي الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 2011، ص:11 .

Scanné avec CamScanner

إنّ المتطلع في أغوار التاريخ والثقافة الغربية ، يستشف خلفية ثقافة التحيز ضد الآخر/ المرأة، التي اختزل وجودها في مجرد آداة ، هاته الآداة التي يتلاعب بها الرجل كيفما شاء من موقع سيادته المطلقة، في مجتمع أبوي حتى النخاع يلغي المرأة ككيان إنساني، هذا الكيان الذي لم تنصفه لا العادات الثقافية ولا حتى الديانات الغربية، التي كانت يجب أن تنص على ذلك لا على العكس، بحكم أنّ الدين هو بمثابة دستور وتشريع إلهي يتساوى فيه الجميع، فأنّى للرجل أن ينصفها؟ أو بصيغة أخرى كيف استطاعت البطريركية أن تتجدر في نفوس الغرب؟

وهو ما يقتضي بنا للإجابة على هذا التساؤل العودة إلى الخلفيات التي انطلقت في مجملها من تهميش المرأة ، ورسمتها في صورة جنس آخر ضعيف و « تشييئها لصالح بناء قوّة شخصية الرجل وتسيّده على الطبيعة وعلى المرأة معا »[1]، كما أنّ هذه الخلفيات تقوم أساسا في جوهرها على ذهنية ذكورية خالصة سواء أكانت بالوضع أم بالتفسير ومن هنا سنرصد الخلفيات التي تبناها الرجل وجعلها لصالحه وفي المقابل أقصت المرأة.

أ- خلفية المسار الديني:

جاءت الأديان السماوية لتخرج الناس من عتمات الظلمات والجهل إلى النور في شؤون حياتهم كافة، ولم تكن فيها أي صياغات تجسد تفوق الرجل ودونية المرأة، أو تساوي بينها وبين الشيطان، أو تجعلها مخلوقا مختلفا عن الرجل من حيث الحقوق والواجبات[2]، غير أنّه حدث العكس عندما« اختلط الوحي الإلهي مع التجربة البشرية وتحريفاتها »[3]، فأصبحت النصوص المقدسة تنص على ذلك وقد استطاعت البطركية أن تجد في النص المقدّس أرضيّة خصبة لتأسس وترسي دعائمها وتثبت رؤيتها في المجتمع، من منطلق أنّه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل، ومن هنا كان على الجميع الامتثال لكل ما فيه، فغدا بذلك الدين داعما للرجل ومهمشا للمرأة.

1- حسين المناصرة: النسوية في الثقافة والابداع، ط1، عالم الكتب الحديث ،إربد-الأردن، 2008، ص:17 .

2- المرجع نفسه : ص:27

3- رياض القرشي: النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ط1، دار حضر موت، اليمن، 2008، ص:05.

Scanné avec CamScanner

- **المرأة / الخطيئة:**

إنّ المتأمل في ثنايا الكتب المقدّسة عند الغرب سيجد الصورة السلبية والقاتمة التي رُسمت حول المرأة، ومكانتها الدونية بحيث أنّه يستحيل عليها أن ترقي إلى مرتبة إنسان، وتؤكد هذه الديانات على أنّ أصل الشر هي المرأة انطلاقا من الخطيئة الأزليّة التي تنسب إلى حواء إذ كانت هي المسؤولة عن وقوع آدم في الخطيئة وطرده من الجنّة عندما أغواها الشيطان، وهو ما ورد في سفر التكوين:« وكانت الحية أصل جميع الحيوانات التي عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقًا قال الرب لا تأكلا من شجر الجنة وأمّا ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الرب عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالرب عارفين الخير والشر... فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان.فحاطا من أوراق تين ووضع لأنفسهما مئزرًا »[1] ؛ ينقل لنا هذا المقطع من سفر التكوين الحوار الذي دار بين الحيّة والمرأة/حواء، وكيف تمكنت الحية من إغواء المرأة هاته التي قامت بدورها بإطعام زوجها /آدم من الشجرة المحرمة، فالنص المقدّس يلقي باللّوم عليها ويحمّلها العبء في وضع الرجل في دائرة المعصية وإشراكه في خطيئتها، فهي تحالفت مع الحية التي أغواتهاو بالتالي يكون الرجل هو ضحية ذلك التحالف الذي تسبب في حادثة الخروج من الجنة.

من اللاّفت أنّ الثقافة البشرية وانطلاقا من النصوص المقدّسة قد بنت صورة سلبية عن المرأة؛ فهي سبب الانحطاط للرجل في هذا العالم وذلك بسبب الخطأ الذي ارتكبته حواء ولم يغفره لها المجتمع، ف« يبدو أنّ قضمة حواء من تفاحة المعرفة كان دينًا، كُتب على النساء أن يؤدينه إلى الأبد »[2]، وعقابا لها على ارتكابها الخطيئة يقول لها الرب في سفر التكوين:« فكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا وإلى رجلك يكون اشتياق وهو يسود عليك »[3]، ذلك ما يوضح لنا أنّ الخطيئة التي ارتكبتها حواء هي التي كانت مصدرا في الانحطاط لكل النساء، فلو لم تكن هناك خطيئة ما كان هناك تفاوت ولا عدم مساواة، ولما همشت المرأة ولذا كان من الطبيعي أن تكون المرأة أقل قوة وأدنى منزلة من الرجل.

1ـ إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ص: 172.
2ـ رياض القرشي: النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ص: 34.
3ـ إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ط1، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1996، ص:150

Scanné avec CamScanner

جاء في النصوص الغربية المقدسة بأنّ حواء خلقت من ضلع آدم وبذلك أصبحت المرأة فرعًا من الرجل، إذًا هي قصة الخلق وبداية التكوين كما شرحها سفر التكوين:« فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ الرب واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم إمرأة وأحضرها إلى آدم.فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى إمرأة لأنها من إمرء أُخذت »[1]؛ فخلقُ حواء من ضلع آدم يفسر جعل المرأة كائنا تابعا وخاضعا للرجل، فهو الأصل وهي الفرع ووجود المرأة متعلق بوجود الرجل، إذ نجد في موضع آخر من الكتاب المقدس أنّ المرأة خلقت من أجل أن تؤنس الرجل لا غير« لا يحسن أن يكون الإنسان وحده فلأصنعن له عونا يناسبه »[2]، فكل هذه النصوص توحي بأن سبب خلق المرأة ووجودها هو من أجل الرجل مايدل على أنه أفضل وأعلى مكانة من المرأة.

جعلت الأديان الغربية من الرجل مركز الكون و« أصبحت الذكورة قضية مركزية في الأديان، وحدث نوع من المطابقة بين الذكورة والألوهية ،وسرعان ما تدخل المفهومان حينما بدأت الألوهية بصوغ مفهوم الذكورة على أنه النموذج الأكمل للكائن البشري » [3]، إذ يقول القديس "بولس" (Paul):« إنّ الرجل هو صورة الله ومجده في حين أنّ المرأة هي صورة الرجل »[4]، ما يجعل الرجل هو المبدأ والأساس لذا فضله الرب في الخلق على باقي المخلوقات .

ترى الحضارة الغربية في الرجل وسيطا بين الله والمرأة وهو ما وضحه القديس "بولس" ، حينما ذهب إلى أنّه يجب على المرأة تقديس الرجل وطاعته عمياء ، إذ يقول:« أيّتها النساء اخضعن لرجالكنّ كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة »[5]، وفي هذا نداء صريح ودعوة لأن تكون المرأة عبدة للرجل وخاضعة له فهو يجسد الله الذي انتقاه وفضله على المرأة .

صارت قضية تطابق الذكورة والألوهية « كمسلمة في الثقافات الغربية عبر حقبها وفي الأديان وفي أواسط المجتمعات الأبوية» [6] ، وهو ما أكده المعتقد المسيحي« صارت كلمة الله إنسانا كي يصير الإنسان آلهة » [7] ، فهذه الرؤية التي انتشرت في ذهنية الرجل الغربي وكانت مستمدة من قصة الخلق

1ـ إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب، ص: 172.
2ـ رياض القرشي: النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ص: 93.
3ـ عبد الله إبراهيم: السرد النسوي، الثقافة الأبوية الهوية الأنثوية والجسد، ص:61.
4ـ إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص: 149.
5ـ المرجع نفسه، ص: 45.
6ـ عبد الله ابراهيم: السرد النسوي، الثقافة الأبوية الهوية الأنثوية والجسد، ص:24.
7ـ رياض القرشي: النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ص: 66.

Scanné avec CamScanner

وبداية التكوين، التي رسخت أفضلية الرجل والموقف العدائي والمناهض من المرأة، وجعل ذلك حقيقة إلهية لا يمكن أن تتغير بحكم أنّ آدم لا ذنب له في المعصية بل حواء هي التي قادته إليها، فهي استطاعت أن تغير الأوضاع التي أرادها الله ، وتسبب في الخروج من الجنة« فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطيتني من الشجرة فأكلت » [1]، وهو ما يبين بأن النص المقدس قد برء آدم وألقى باللّوم على المرأة.

بالعودة إلى الديانة اليهودية وتعاليم التلموذ فسنجد الصورة نفسها أيضا هي الصورة السودوية والانتقاصية للمرأة، إذ حرمت هذه الديانة على المرأة تلاوة التوراة وليس لها حتى حق العبادة، ذلك أنها ناقصة عقل و ليست لها مقدرة على فهم وتفسير وتأويل نص مقدس، إضافة إلى هذا فقد قام المعتقد بوضع المرأة في مكانة حقيرة وأنزلها منزلة الحيوان أوأقل، بحكم أن الرب خلق الحيوان قبلها وهو ما يجعله أعلى مرتبة منها ،ويبرز أن المرأة آخر الموجودات في هذا الكون وهو ما يضفي بدوره سمة الدونية والنظرة الاحتقارية والهاشمية إزاءها، وبهذا تصبح نكرة وأن وجودها والعدم حدّ سواء [2].

هذا ما يقودنا للقول إنّ الثقافة البشرية قامت بتلاعب وتحايل من خلال استنادها على النص المقدّس لتدعم نظرتها البطركية، وترسخها في الحياة وقد استطاعت أن تتأصل في نفوس الغربيين أكثر بفضل رجال الدين، الذين قاموا بالتأكيد على كل ما جاء في نصوص الديانات.

- **المجتمع الكنيسي:**

كانت نظريات وقوانين رجال الدين بوجه عام متحيزة لجنس الرجل ومعادية للمرأة، فقد ظلت المرأة في نظر القساوسة ورجال الدين كما عند القديس **"يوحنا"**« شرّا لا بد منه وإغواء طبيعيا وكارثة مرغوبا فيها وخطرا منزليا وفتنة مهلكة وشرا عليه طلاء »[3].

اللاّفت أنّ هذه النظرة ذاتها الموجودة في الكتب المقدسة وامتدت إلى رجال الكنسية، فمنذ أصبحت المسيحية الديانة الرسمية في أوروبا، أصبح البابا يمثل الله على الأرض وكانت له سلطة واسعة وبذلك

1- خالد قطب وآخرون: الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الأبوية، ط1، منتدى سور الأزبكية، 2006، ص:29.
2- نادرة السنوسي : الذاكرة الفلسفية الغربية ضد قابلية المرأة للتفكير ضمن الفلسفة النسوية في فضح (ازدراء الحق الانثوي)و نقضه، و التمركزالذكوري ونقده، ط1، منشورات الاختلاف، بيروت- لبنان ، 2012، ص: 22.
3- إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص:144.

Scanné avec CamScanner

غدت الكنسية ونظرتها جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان الأوروبي، و« تحولت إلى سلطة تشريعية والدولة إلى سلطة تنفيذ » [1]، ما يؤكد على الدور الكبير الذي تتمتع به الكنسية.

قام الفكر الكنيسي هو الآخر بتحميل المرأة خطيئة آدم عليه السلام، فأصبحت بذلك بابا للشيطان والمسؤولة الأولى والأخيرة عن الانحلال الأخلاقي وتردّي المجتمعات البشرية، إذا أضفت الكنسية الصفات الشيطانية على الأنثى عندما ناقش رجال الدين مسألة:« هل للمرأة ورح أو لا؟ فلم يستطيعوا إنكار هذه الروح فكانت النتيجة بأن لها روح لكنها روح شيطانية » [2]، وهو ما ذهب إليه القديس "**بونافتير**" (1221-1272) الذي قال:« إذ رأيتم المرأة فلا تحسبوا أنكم تشاهدون موجودا بشريا بل ولا موجودا متوحشا لأن ما ترونه هو الشيطان بنفسه وإذا تكلمت فإن ما تسمعونه هو فحيح الأفعى »[3] ، فأباء الكنسية يقرّون بأن المرأة هي الشيطان بعينه، بناء من نص الخطيئة بالإضافة إلى عقد تطابق بين المرأة والأفعى، وبالتالي يجب الا تصنف المرأة ككائن إنساني.

يذهب رجال الكنسية كذلك إلى أنّ المرأة ، لا يمكن أن تتساوى مع الرجل ، ولا يمكن أن تكون شريكة له، وقد حددت مهامها بالحفاظ على النسل البشري ،إذ يقول القديس "**توما الأكويني** (Aquin Tomas d') :« إننا نحتاج للمرأة للمحافظة على الجنس البشري ولإمدادنا بالطعام والشراب أيضا » [4]، فهو يحصر وجودها في عملية التناسل والقيام بالمهام المنزلية لا غير من هنا لا يمكن لها أن تحظى بأي حقوق.

لم تتوقف الكنيسة عند هذا الحدّ في الحط من قيمة المرأة ، بل امتدت سلطتها لمعاقبة القابلة التي تساعد الحامل على الولادة،« فقد عمدت محاكم التفتيش الكاثولكية معاقبة القابلة التي تساعد الحامل على الولادة وتحقيق ألامها بالبحث عنها وتعذيبها وقتلها، لأنها تخالف ما أرادته العدالة الإلهية من فرض الآلام على النساء عقابا على ذنب حواء »[5]، فالمرأة مقدر عليها أن تعاني في وجودها بسبب الخطيئة التي ارتكبتها أم البشرية وكل هذا من أجل ترسيخ الأفكار المضادة والعدائية تجاه المرأة.

1- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ص: 174.
2- رياض القرشي: النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ص:18.
3- إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص:05.
4- المرجع نفسه، ص:146.
5- رياض القرشي: النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ص: 36.

Scanné avec CamScanner

صنف رجال الكنيسة المرأة إلى صنفين من خلال أنموذجي مريم أم المسيح وحواء زوج آدم ، ويحددون الصفات التي تتصف بها كل أنثى، فهي« إما أن تكون رمزا كالسيدة العذراء وتمثل الطهارة والعفة والأمومة، وإما أن تكون رمزا لحواء الأنثى اللعوب »[1]،فالمرأة نوعان إما أن تكون كمريم وتمثل الحد الأقصى من الطهارة والخيرية الروحية علما أن هذا الصنف الأولمنعدم، فهو يرتبط بمريم دون سواها لأنها أم المسيح من هذا المنطلق ارتبطت بها هذه النظرة، وإما أن تكون المرأة امتداد لحواء وهذا الصنف هو المنتشر والموجود، فحواء الأنثى اللعوب التي تغري وتغوي وتخدع الرجال، قادرة على خدمة الشيطان والامتثال له والتخلي عن عبادة الله فهي بذلك أورثت صفات الإغواء والشر لبنات جنسها(*).

هي إذن نظرة الدين وموقف رجال الكنسية من المرأة وهو أمر طبيعي أن يتبنى المجتمع هذا الموقف المناهض، لينبثق لنا مجتمع غربي بطريركي ينطلق من مفاهيم الخطيئة والغواية ليحدد أدوار المرأة ويجعلها في حالة تبعية مطلقة للرجل، فالاتكاء على المعتقدات الدينية ساهم بشكل كبير في دعم الرؤية الذكورية داخل المجتمعات الغربية، كما يمكن الإشارة إلى أن العيب لا يمكن في الديانة السماوية في حد ذاتها، وإنما العيب في تطبيق أصول الديانات من قبل الثقافات البشرية.

ب- خلفية الحضارات والأساطير:

قامت الحضارات وكل المرجعيات الأسطورية بدورها هي الأخرى بإبراز ثنائية الرجل/ المرأة أكثر وجعل الرجل هو الأكثر أهمية في هذه الثنائية، ووضع المرأة في مكانة دونية ولعل الأشكال التي اتخذه الفكر الغربي ما نجده في الحضارة الرومانية، فقد كان يتم قتل النساء والتخلص منهنّ عن طريق تركهنّ في العراء،« فإذا كانت المولودة أنثى فمن حقه أيضا خنقها إذ أراد أو تركها في العراء لتموت، أو أن يستخدم إحدى الطرق التي يرها مناسبة للتخلص منها...، وقد كان الأب بمولد الطفل وعلامة قبوله أن يحمله بين ذرعيه ويرفعه إلى الأعلى ... »[2]، وهو ما يبرز لنا التحيز داخل الحضارة الغربية للذكر على حساب الأنثى التي يقرر حصرها بالموت لحظة ولادتها، إضافة إلى هذا فإن القانون يساند مثل هذه الممارسات فهو يلزم الآباء بتربية كل أبنائهم والاكتفاء بابنة واحدة ما يشجع مبدأ اللامساواة بين الرجل والمرأة وكذا احتقار المرأة ،« فقد استخدمت المحاكم في الماضي وحتى يومنا الرهن حججا نفعية تقوم

1- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب، ص: 174.

* لتوسيع في هذه الفكرة ينظر في كتاب رياض القرشي النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ص: 19-20 وما بعدهما.

2- إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص:29.

Scanné avec CamScanner

على الدور التقليدي للنساء داخل الاسرة المعترف بأن دور حتمي وطبيعي » [1]، فكل من المجتمع والقانون يحصر وظيفة المرأة في رعاية البيت والزوج والأولاد والانجاب وهذا أمر طبيعي محتوم عليها، وعليه فإن التشريع الغربي لم يسلم هو الأخر من ترسبات النظام الأبوي، إذ عمل على تحقيق مصلحة الرجل ومنفعته.

عرفت الحضارة الغربية نظام الوصاية الذي يقرّ بأحقية الرجل على امتلاك المرأة منذ صغرها وحتى زواجها، فنظام الوصاية هذا يوضح« وضع المرأة التي كانت لعبودية الرجل وهي فتاة في منزل والدها، ثم العبودية الرجل وهي زوجة في منزل زوجها ... ويحل زوجها محلّ أبيها » [2] ، فهذا النظام يكشف عن سيادة الرجل للمرأة إذ لا يمكن لها أن تتزاح عن مجال سلطته أو تنفك عن قيوده، فهو نظام يقوم على استعباد المرأة.

وممّا يساعد على تأصيل النظرة الاحتقارية للمرأة في الحضارات الغربية ما رسخته "**الأساطير**" التي تعد بحق« **إيديولوجية الرجولة** »[3]، فقد حملت تيمات الوحي الذكوري عن المرأة ، و كشفت عن الفكر الأبوي الذي يعكس الصورة النمطية عنها، إذ نجد أنّ أغلب الأساطير تنقل تلك الصورة السلبية عن المرأة فهي نموذج للشرّ والفساد، في حين أنها ترسم الرجل على أنه الكائن الأكثر إيجابية ، وتنسب إليه الصفات البطولية والخيّرة، وهو ما عكسته أسطورة التكوين الاغريقية ، فعند« مجيء المرأة الأولى **(بندورا)** من السماء إلى الأرض ، كان من أجل أن تنتقم من **(بريميثوس)** إله الأرض وعباده البشر الذكور المثاليين، وعقابا لهم على سرقة النار المقدسة رمز المعرفة من السماء، ورغم أن (بندورا) قد امتلكت عناصر الجمال التي منحتها إياها الآلهة مثل الجمال والرشاقة والحب والشعر والموسيقى، إلاّ أن هذه الأشياء كلها كانت مظاهر خداعة، تستر في الباطن الجوهر الخبيث، مكمن الخطورة في المرأة التي أعطيت المكر والدهاء، وأيضا حملت معها صندوق الخبائث أو صندوق الأمراض الذي نشرته فيما بعد بين الذكور الطاهرين من كل العيوب الأمراض، فعاشوا مع العذاب والألم والمرض »[4]، تكشف هذه الأسطورة عن الجانب المظلم للمرأة وعن الشر والمكر الذي تلحقه بالرجل فهي مصدر المصائب والخطر المحدق بالذكور ومن جهة أخرى تنسب كل الصفات التي تدّل على الخير والطهارة للرجل، فهو لم يقع

1- رياض القرشي: النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ص: 122.
2- إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص:20.
3- حسين المناصرة: النسوية في الثقافة والابداع، ص: 19.
4- المرجع نفسه، ص: 20.

Scanné avec CamScanner

في الخطأ بل المرأة هي من أوقعته بفضل ذكاها ومكرها الذي زرعهما فيها للشيطان، وغيرها من الأساطير التي تنحاز لجنس الرجل على أنه الكائن الأمثل وتلبس المرأة الصفات الشيطانية.

لقد تمكّنت الحضارة والأساطير الغربية من جعل المرأة رمزا للشر واخضاعها للرجل، وبحكم أن الأسطورة هو الألصق بالذهنية كان طبيعيا أن تعج مثل هذه الأفكار المتمثلة بالقمع والاضطهاد للأنثى في المجتمعات وليس بعيدا أن يتأثر الفلاسفة الغربيين بهذه الأفكار البطريركية التي حوتها الحضارة، ويتبنوا الرؤية ذاتها ويثبتوها أكثر بأدلة وحجج وهو ما يفضي إلى خلفية أخرى لممارسة الأبوية.

ج- الخلفية الفلسفية:

لم تختلف نظرة الفلاسفة إلى المرأة عن نظرة رجال الدّين والقوانين وكذا الأساطير بل أصبحت نظر بأنهم داعمة أكثر ورسخت النظرة الدونية والهاشمية للمرأة، إذ نجد "**سقراط**"(Socrate) ، يرى ـبأن« وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار الخلقي في العالم، لأن المرأة أشبه بالشجرة المسمومة، حيث يكون ظاهرها جميلا، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالا » [1].

معنى ذلك أن المرأة عبارة عن جملة من الأزمات وعبوة من السموم التي متى احتكت بالرجل وبالعالم من حولها، في حين بذهب "**أفلاطون**" (Platon) إلى أنّ مهام المرأة منحصرة في البيت ، فهو يرى بأن المجتمع« لا يعتمد على المرأة بل على الرجال الأحرار فقط، فالرجل هو الذي يعمل ويملك العبد ويصنع الثورة، ولذلك امتدت يده إلى امتلاك النساء، اللّواتي اقتصرت حيواتهن على تدبير المنزل وتربية الأطفال وخدمة الرجل »[2]،وانطلاقا من هذا فإن أفلاطون يجعل الرجل سيد المجتمع وسيدا على المرأة التي يلزم عليها خدمته بسبب الموقع المتميز له، ونجده يتقاطع مع، "**توما الأكويني**" الذي ينظر إلى المرأة من خلال معيار الذكر،فالذكر يمثل المقياس الأكمل للموجود البشري وتكون الأنثى كما قال: « المرأة رجل ناقص »[3]،وبذلك يحتكم إلى العامل البيولوجي الذي يجعل الرجل أعلى مرتبة من المرأة.

أمّا "**أرسطو**" (Aristote) الذي كان يمتلك ذهنية بطريركية محظ، فقد قدّم في فلسفته حججا كافية لإدانة النساء ، وأن ليس لهنّ الحق في المساواة مع الرجل، فيكون بذلك قد حط من قيمتها لأنها:« ليست سوى ذكر عقيم، ذكر ممسوخ، فالذكر وحده يمتلك العنصر المولد، وليست النسوية سوى مادة، فالذكر

1- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ص: 163.
2- المرجع نفسه: ص: 169.
3- رياض القرشي: النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ص: 129.

Scanné avec CamScanner

إلهي ومنبه يحتوي على مبدأ الروح، ولأنه لا يوجد في منيّ المرأة روح، فهي ذكر غير مفيد »[1] ، فدائما يبرز تفوق الرجل عن المرأة من خلال العضو الذكر الذي يجعل المرأة ناقصة وأنها لا تكمل إلا بالرجل، وقام أرسطو أيضا بتطبيق مصطلحي الذكر والأنثى على الكون النظامي ونسب كل ما هو أعلى إلى الرجل وربط كل ما هو أدنى بالمرأة، فرأى بأن الطبيعة شيء مؤنث واسماها الأم في حين تحدث عن السموات والشمس بوصفها المحدث الأب، واستمسك بأن كل ما هو أعلى ينبغي ان ينفصل عما هو أدنى« فالطبيعة لا تفعل شيئا باطلا، هي التي رتبت الموجودات على هذا النحو، وهي التي حددت لكل موجود وظيفته التي يخدم بها الموجود الأعلى، وهكذا كان النساء بالطبيعة أدنى من الرجال وكانت وظيفتهم خدمة الرجال » [2]، وعليه فإن أرسطوا استطاع أن يوضح مكانة الرجل وكذا المرأة باستناده على عناصر الطبيعة ليقرب لنا بشكل كبير رؤيته البطريركية المتعالية، وعلى أي أساس تم التمييز بين الرجل والمرأة.

يبرز رأي "**فرانسس بيكون**" (Francis Bacon)في مدى تأثره بالخطيئة التي ارتكبتها حواء وكذا تفسيرات الكنسية، إذ يقول:« مازالت المرأة تواصل فينا الخداع مثلما بدأت خديعتها في الفردوس، واقترنت حوّاء في أذهاننا بالقضاء المبرم بوصفها أرومة بؤسنا بأسره »[3] ، وبذلك يكون قد تبنى نفس الرؤية والموقف العدائي من المرأة، فمثلما كانت حواء سببا في اسقاط آدم من الجنة إلى الأرض ستظل المرأة بصفة عامة مصدرا لبؤس الرجل.

وألفينا "**جون جاك روسو**" (Jon –Jacques Rousseas)هو الآخر من خلال نظرته الاجتماعية عن العدل والمساواة الذي كان من المفروض عليه أن يلتزم بما جاء به إلا أنه عندما تعلق الأمر بالمرأ تجاهل كل مبادئه وأفكاره ؛ حيث حصر المرأة في صورة سلبية فهي « بطبيعتها، خاضعة ومحتشمة في بيتها، ولا تكون سعيدة إلا إذا اسعدت الرجل، وأن دورها أن تنجب وتربي، وأن تطيع زوجها بلا مناقشة وأن تعتمد عليه اعتماد تاما » [4]، من الجلي أنّ هذا الكلام ينمّ عن طبيعة بطريركية التي يريد البقاء عليها؛إذ يربط مصير المرأة بمصير الرجل إضافة إلى ضرورة الرذوخ والخضوع الكلي له.

1- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ص: 180.
2- إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ط1، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص:32
3- إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص: 130.
4- رياض القرشي: النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ص: 131 ، 132.

Scanné avec CamScanner

استطاع رائد العقلانية الغربية "روني ديكارت"(Rone Descartes) أن يتوصل بفضل ثنائيته العقل/المادة إلى ثنائية أخرى على أساس الجنس، حيث ربط العقل بالذكورة والمادة بالأنوثة، ففي رأي سوزان موللراوكن « قد وضعت الفلسفة الديكارتية تمييزا صارما بين ما هو عقلاني وما هو غير عقلاني من خلال التميز بين العقل والجسم هذا التميز أدّى إلى اختلاف بين الرجل الذي يمثل في فلسفته العقل والتفكير العقلاني، والمرأة التي تمثل الجسد والتفكير اللاّعقلاني »[1]، فيكون بذلك قد ربط القدرات العقلية بالرجل في حين أنّ المرأة جعل منها جسما عاجزا عن التفكير.

وهو ما ذهب إليه "**هيجل**" الذي أكدّ دونية عقل المرأة وتفوق رجاحة عقل الرجل فهو يرى« أن المرأة رقة وتذوق بيد أنها منقوصة المثل الأعلى، ولذلك فمن العدالة ابعادها عن حكم الدول، لأنها لا تعمل حسب مقتضيات الشمولية بل تبعا للأهواء والآراء العرضية » [2]،فالمرأة لا يمكن الاعتماد عليها في القضايا التي تعتمد على التفكير والعقل لأنها تحتكم إلى أهوائها وعواطفها.

كما تبرز النظرة العدائية نفسها إيزاء المرأة عند كل من "**جون لوك**" و "**نتشه**" إذ يقر "**جون لوك**"(Jon Locke) بالدور الثانوي للمرأة ، فهو« لم يرفع من مستوى المرأة عن مستوى الأشياء التي تمتلك، وافترض عدم وجود مساواة طبيعية بين الجنسين، وهذا يعني أن تبعية المرأة للرجل أمر معطى يجب التسليم به، وأن دور المرأة يقتصر على الانجاب وتربية الأطفال فقط » [3]، فيكون بذلك قد أرجع عدم المساواة بين الجنسين إلى الوظائف التقليدية للمرأة، والملتصقة بها وكذا امتلاك الرجل للمرأة.

أمّا "**فريدريك نتشه**" (Friedrich nietzshe)فقد كان موقفه أكثر قساوة في التعامل مع المرأة وأشدّ حدّة، إذ يقول:« إذ ذهبت المرأة فلا تنس أن تأخذ القرباج (السوط) » [4] ، فهو بذلك يكشف عن نظرته الاحتقارية وعدائه السافر تجاه المرأة، ويذهب إلى أبعد من ذلك فإن تحقير المرأة من قبل الرجل أمر مسلم به، بل يصل إلى إحتقار المرأة من قبل ذاتها « ألا يبدو صحيحا أن المرأة لم تكن مستقرة سوى من المرأة وليس منا نحن » [5]، ما يجعلنا نقول بأن تلك الصورة المتدنية التي رسمت عن المرأة وذلك النقص الذي تعانيه إنما هو متولد في البدء من إحساسها بالنقص والتبعية للرجل في ذاتها.

1-سوزن موللراوكن: النساء في الفكر السياسي الغربي، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، د ط، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2002، ص: 38.

2- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ص:183

3- المرع نفسه، ص:184

4- المرجع نفسه: ص: 184.

5- هشام بن دوخة: نتشة والوجه الأخر للمرأة، ضمن الفلسفة النسوية، ص:74 .

Scanné avec CamScanner

يمكن القول بأن معالم النزعة البطريركية بدت واضحة في آراء الفلاسفة التي حطت من قيمة المرأة، وأفصحت عن مثالية وكمال الرجل، فجاءت مواقفهم كلها ترجمة لواقع المرأة، المتدني يقتصر على العملية التناسلية، ورعاية الزوج والأولاد ما يجعل منها درجة ثانية في النسق البشري وكائنا سلبيا ضعيفا يحتاج إلى قوّة ليتعلق بها.

د- علم النفس:

أثبتت نظريات علم النفس بدورها المنظور الذكوري المتجذر في الفكر الغربي بداية مع "**سيجموند فرويد**"(Sigmund Freud) الذي يرى بأنّ الاختلاف بين الجنسين يكمن في العوامل البيولوجية الجنسية لكل من المرأة والرجل، وأرجع دونية المرأة إلى النقص الموجود فيها، فاعتبر المرأة رجلا ناقصا حيث يقول:« ليست المرأة رجلا، ليست رجلا لأنها لا تملك قضيبا» [1]، وبهذا جعل ثنائية الرجل/ المرأة تطفو وتبرز على السطح أكثر، فالاختلاف الجنسي بينهما أدّى إلى دونية المرأة، وقد ربط هذه الدونية بما أطلق عليه عقدة الإخصاء، مبررا ذلك بأن« هذه العقدة تعود إلى زمن الطفولة عندما تبدأ الفتيات الصغيرات بالتجربة المأسوية التي يعانين منها، عندما يكتشفن أنهن ليسوا مثل الصبيان لأن القضيب ينقصهن، وأنّ هذه التجربة تقيد تطور المرأة، وتحد من قدراتها العقلية »[2]،فحرمان المرأة من العضو الذكري يترتب عنه عقدة نقص تجاه نفسها إضافة إلى تأثير ذلك على عقلها بسبب دونيتها البيولوجية.

أمّا "**كارل يونج**"(Carl Gustav Jung) ، فيقدم مع علم نفس الأعماق تعريفا للذكورة والأنوثة بعيدا عن تلك التصورات البيولوجية، فقد ربطهما بمبدئي« الإيروس وهو مبدأ الترابطية الأنثوي، واللّوجوس وهو مبدأ الاهتمام الموضوعي الذكوري »[3]،وهو بهذا يعلن عن نمطين من السلوك الإنساني وقد أضفى على كل منهما صفات تبرز أن الرجل هو الأعلى مكانة من المرأة، " **فالإيروس الأنثوي**، يتميز بـــ« العاطفة، الجمالية، الروحانية، التوق إلى الترابط، التوق إلى التواصل، الخوض في غمرة الأشياء والناس والوصل إلى لبها، التماس معها الارتباط بها ،والاستغراق في خصمها »[4] ، فكل صفة

1- آني آرنو: المرأة الأنثى بعيدا عن صفاتها، ترجمة طلال حرب، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص: 103.

2- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ص: 206.

3- ليندا جين شيفرد: انثوية العلم/ العلم من منظور الفلسفة النسوية، ترجمة يمنى طريف الخولي، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص:36.

4- المرجع نفسه، ص: 36.

Scanné avec CamScanner

من هاته الصفات الموجودة في مبدأ الإيروس تؤمئ عن ضعف المرأة، وأنها بحاجة دائما إلى الرجل فلا معنى لوجودها إلاّ به، أما فيما يخص " **مبدأ اللوجوس الذكوري**" ، فينسب إليه كل الصفات الإيجابية والمتمثلة في« العقل، التفكير، الواضح، الفاعلية، التعقل، رفيع المستوى وحل المشاكل والتمييز وإصدار الحكم ،الاستبصار والتجرد، الحقيقة اللاشخصية، الموضوعية »[1] ، ممّا يوحي بالكمال الموجود في الرجل على عكس النقص الموجود في صفات المرأة وأن هذا النقص يحتاج لأن يرتبط بها بوجهه، لذا وجب ارتباط الإيروس باللّوجوس أي ارتباط المرأة بالرجل.

فعلم النفس لم يستطع الانفلات من الأوضاع الإجتماعية السائدة في تحليلات نظرياته، التي تأكد على النظام البطريركي الذي يدخل في كل التراكيب.

ه- الخلفية الاقتصادية:

بعد أن وجدت البطريركية سبلا في التغلل في كيان المجتمع الغربي، وسيطرته على كل أنظمته ها هو الجانب الاقتصادي يكشف عن أبوية هذا النظام خاصة بعدما استطاع أن يفتك القيادة ويحل محل سلطة الأم أو ما يعرف "**بالنظام الأموي**" (Marriara) *، الذي لم يدم طويلا، فقد تغيرت كل الأوضاع السابقة، إذ ترى "**ليندي ساي جيرمان**"(Lindy Sai Germain)، أنّ البطريركية في جانبها الإقتصادي، تشير إلى« المجتمعات التي يكون فيها الأب، البطريرك مسيطر ليس فحسب على نساء العائلة ...وإنما على الانتاج الفلاحي أو الحرفي، ويمثل المنزل على الأقل جزئيا القاعدة الانتاجية لها، وتتبع سلطة البطريك من حيازته للثورة المنتجة ومن ملكيته للأرض » [2] ، وهذا يوضح إحتكار الرجل لكل الممتلكات من ثروة وأرض عدا نت امتلاكه للمرأة، هذه التي لها نصيب في أن تملك شيئا وحرمت من الميراث ومن هذا المنطلق أصبحت المرأة جزء من أملاك الرجل.

كما عمل القانون الغربي على تثبيت هذه الأفكار، إذ لم يقرّ لها بأية حقوق، ومركزها بذلك يكون أدنى من الرجل،« إذا كانت تظل تحت وصاية والدها ثم زوجها حتى مماتها، أو تحت وصاية أقرب اقربائها من الذكور، وكان يجوز للأب في حالة عدم وجود ورثة من الذكور أن يوصي بأملاكه وابنته

1- المرجع نفسه،ص:37.

* النظام الأمومي: يمثل مرحلة سحيقة في الزمن سادت فيها سلطة الأم في المجتمعات وقد احتكرت القيادة الاقتصادية والسياسية، وكانت لها مكانة عالية في العائلة والمجتمع، وقد تميزت هذه المرحلة بانتساب الأولاد إلى أمهاتهم، واستمدت المرأة قوتها من الطبيعة، إذ كانت الزراعة تقوم على أكتاف النساء، فهن أول من اكتشفها ولأن مبدأ الخصوبة في الأرض هو نفسه مبدأ الخصوبة عند المرأة، فقد س الإنسان الأرض مثلما قدس الأنثى، لتوسع في هذا النظام ينظر في كتاب إبراهيم الحيدري، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب من ص: 25 إلى غاية : 60.

2- ليندي سان جيرمان: النظريات البطريركية مركز الدراسات الاشتراكية ،www.kotobarabia.com، ص:08.

Scanné avec CamScanner

لأي رجل يختاره »[1]، ولعل بسبب هذا الاضطهاد الحاصل يعود إلى ضرورة تخليد الأسرة والمحافظة على ملكيتها الخاصة، إضافة إلى هذا فقد ظهر ما يعرف بتشييئ المرأة وجعل المرأة سلعة تباع وتشترى وهو ما تحدث عنه "**كلود ليفي ستراوس**" (**ClandeleviStranss**) عن "تبادل النساء" ،إذ يقول:« ليست النساء هنّ من شيّيء وسّلع بل جنسانيتهنّ وقدرتهنّ التناسلية »[2]، إذ جعل الرجال القدرة الجنسية للمرأة مكسبا لهم من أجل تنمية ثروتهم من خلال إبرامهم لصفقات فيها بينهم، ومن هنا فالنظام الإقتصادي جعل المرأة كائنا خاضعا للرجل ونصبها لأن تكون من ممتلكاته يتصرف بها كيفما شاء، لأنه هو الذي يسيطر على هذا المجال، لذا يجب عليها أن تعتمد عليه، وإن امتلكت شيئا فهو يصبح ملكا لزوجها فوجود مرتبط بالعملية التناسلية وحفظ جنس الرجل لا غير.

وممّا تقدم يظهر جليا أن المجتمع الغربي مجتمع بطريركي في كل خصوصياته، إذا عملت كل أنظمته على ترسيخ الهيمنة الذكورية وتفوق الرجل على المرأة، من خلال تقديم أدلة وبراهين تدعم رؤيتهم وصحة زعمهم بأن الرجل هو الأصل منذ البداية الخلق، وما المرأة إلا جنس آخر لا فائدة من وجوده.

2- جذور النظام الأبوي عند العرب:

عرف المجتمع العربي على غرار المجتمع الغربي، عبر تاريخيه وحقبه تجذرا لواقع سلطة أبوية، واعتلت النزعة الذكورية كل المجالات وفي مقابل ذلك أقصيت المرأة، وتجلت هذه النزعة فيما يعرف بهيمنة ثقافة الفحولة التي تحتفي بالرجل لأنه العنصر الأقوى وتقصي المرأة وينظر إليها على أنها مصدر عار، إذ أن كل الممارسات التي شهدتها الحضارة العربية تنقل لنا تلك الصورة التي عمل الرجل العربي على طبعها وترسيخ الشخصية الأبوية المتعالية.

يعدّ النظام الأبوي العربي ،« بنية اجتماعية متميزة أفرزتها شروط حضارية وتاريخية معينة »[3] ، بحيث أن هذه البنية تظهر على مستوى العائلة التي تعيش تحت وطئة الرجل، وفي الوقت ذاته تشكل العائلة النواة الأولى التي يقوم عليها هذا المجتمع، وقد ذهب "**هشام شرابي**" إلى أنّ النظام الأبوي عند العرب من خلال سياقه التاريخي ينقسم إلى ثلاث مراحل متعاقبة وتتمثل في:

1- إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ط1، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص:150

2-غيردا ليرنر: نشأة النظام الأبوي، ص: 415.

3- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ص: 311.

Scanné avec CamScanner